The International Journal of Islamic Studies and Culture (IJISC)
Volume 1, No. 2, November 2022
ISSN: 2948-3778 e-ISSN: 2948-3913 https://ijisc.unishams.edu.my

صفات بعض خلفاء بني أمية الخُلُقية وأثرها في السياسة الداخلية

د.عبدالستار عبدالوهاب أيوب عثمان

ملخص البحث:

هذا البحث يوضح لنا صفات بعض خلفاء بني أمية الخُلقية وأثرها في السياسة الداخلية بداية بمروان بن الحكم، ونهاية بمروان بن محمد، حيث يقوم البحث بإلقاء الضوء على تلك الصفات، لكل خليفة مبينا أثرتلك الصفات في السياسة الداخلية لكل منهم على حدة، فمن تميز بالحلم والأناة ظهر أثر ذلك في سياسته الداخلية، وانعكس على الرعية، ومن اتصف بالجبروت والمكر والدهاء ظهر أثر ذلك في سياسته الداخلية وانعكس كذلك على الرعية . وممن عرف بالورع والتقوى والحلم والزهد سليمان بن عبد الملك وهشام بن عبد الملك وعمر بن عبدالعزيز وقد ظهر أثر ذلك في السياسة الداخلية وانعكس على الرعية في عهودهم وممن عرف بالمكر والدهاء عبد الملك بن مروان وممن عرف بالظلم الوليد بن عبدالملك ويزيد بن عبدالملك وممن عرف بالدهاء والعسف والإقدام مروان بن محمد وقد ظهر اثر ذلك في السياسة الداخلية في عهودهم.

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين ومن اهتدى بهديه واقتفى أثره وسار على هديه إلى يوم الدين أما بعد.

فإن معرفة الصفات الخُلُقية للخلفاء من الأهمية بمكان في التاريخ الإسلامي فالصفات الخُلقية إنما تأتي أهميتها من كونها تجعل طيف الخليفة ماثلا في ذهنك كأنك تنظر إليه وفي هذا متعة تتمثل في كونك تتصور رؤية خليفة من عدة قرون،كما أن قوة بنيان الخليفة وبسطة جسمه أدعى إلى الاحترام والتقدير له من جانب الرعية كما أنها تبعث الرعب والخوف في قلوب أعداء الإسلام، فقوة الجسم وبسطته من متطلبات الملك قال تعالى: (إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم) البقرة /247،كما أن الصفات الخُلُقية تأتي أهميتها من كونها تبعث على التأسي والاتباع أو التنفير والإقلاع،كذلك تعكس الصورة الحقيقية لتعامل الخلفاء مع الرعية، فالخليفة الذي يتمتع بالصفات الخُلقية الحسنة يحسن التعامل مع الرعية ،والخليفة الذي يتمتع بالمكر والظلم والبطش يسيء التعامل معها وهكذا .

والبحث الذي بين أيدينا يتناول صفات بعض خلفاء بني أمي الخُلقية وأثرها في السياسة الداخلية، وهو يعرض للخلفاء الأمويين من لدن مروان بن الحكم حتى مروان بن محمد آخر الخلفاء، ويتكون من مبحثين يسبقهما مقدمة وتمهيد وخاتمة ثم قائمة بالمصادر والمراجع.

تمهيد

لما استشهد الإمام علي رضي الله عنه عَمَد أهل العراق إلى ابنه الحسن رضي الله عنه فبايعوه، ثم أشاروا عليه، ليأخذ الشام من معاوية، وسار معاوية بجيش الشام لقصده، فلما تقارب الجيشان، بموضع يقال له مَسْكِن بناحية الأنبار، علم الحسن أنه لن تغلب إحدى الفئتين حتى يذهب أكثر الأخرى، فرأى أن المصلحة في جمع الكلمة، وترك القتال، فكتب إلى معاوية بأن يصير الأمر إليه، وينزل عنه، على أن يشترط عليه ألا يطلب أحدا من أهل المدينة والحجاز والعراق بشيء مما كان في أيام أبيه، وأن يكون ولي العهد من بعده، وأن يمكنه من بيت المال، ليأخذ حاجته منه، ففرح معاوية وأجابه إلى تلك الأمور السابقة، فبعث إليه معاوية حينئذ برق أبيض وقال : اكتب ماشئت فيه فأنا التزمه، فاصطلحا على ذلك، فكتب الحسن كل ما شرط عليه من الأمورالمذكورة، واشترط أن يكون له الأمر من بعده، فالتزم معاوية كل ذلك، فخلع الحسن نفسه وسلمه إلى معاوية، فلما اصطلحا دخل معاوية الكوفة وسُمي ذلك العام عام الجماعة .

وكان كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن ابني هذ سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين[1]، ثم سار الحسن بأهله وحشمه، إلى المدينة، وأقام بها ،وغضب من فعل الحسن شيعته وكانوا يقولون له : يا عار المؤمنين سودت وجوه المؤمنين، فيقول لهم: العار خير من النار[2] . ولما قَدِم الحسن بن علي على الكوفة قال له أبوعامر سفيان بن الليل: السلام عليك يا مُذلَ المؤمنين فقال: لا تقل ذلك يا أبا عامر لست بمذل المؤمنين، ولكني كرِهت أن أقتلهم على الملك[3]

وبايع الناس معاوية فاجتمعوا عليه، في منتصف جمادى الأولى، سنة إحدى وأربعين، ومعاوية يومئذ ابن ست وستين إلا شهرين .

وقد أخذ معاوية البيعة بالخلافة لابنه يزيد من بعده، وتولى يزيد الخلافة ولم يعمر فيها طويلا ثم انتقلت الخلافة إلى بيت مروان بن الحكم حتى سقوط الخلافة الأموية في عهد مروان بن محمد على يد بني العباس سنة 132هـ.

المبحث الأول: أبو عبدالملك مروان بن الحكم(64هـ):

(1) الذهبي، العبر في خبر من غبر، حققه وضبطه، أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، ج1، ص34، دار الكتب العلمية، بيروت، وروى البخاري في صحيحه (حديث رقم : (2704) ...قال الحسن ولقد سمعت أبابكرة يقول: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر والحسن بن علي إلى جنبه وهويقبل على الناس مرة وعليه أخرى ويقول : إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين .ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج5، ص397، محمد فؤاد عبدالباقي، رقم 2704، المكتبة التوفيقية .

(2) ابن كثير، البداية والنهاية، تحقيق، عبدالله بن عبد المحسن التركي، ج11، ص204، طبعة أولى، دار هجر، 1998م وفي رواية لابن عساكر، قيل للحسن بن علي : تركت إمارتك وسلمتها إلى رجل من الطلقاء، وقدمت المدينة؟، فقال : إني اخترت العار على النار، ابن عساكر، تاريخ دمشق الكبير، تحقيق وتعليق وتخريج، أبي عبدالله علي عاشور الجنوبي، ج14، ص92، دار إحياء التراث العربي، بيروت، طبعة أولى 2001م.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، دراسة وتحقيق محمد عبدالقادر عطا، ومصطفى عبدالقادر عطا، راجعه نعيم زرزور ،ج5، ص184، طبعة أولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م. بتصرف .

مولده ونسبه: مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبدشمس بن عبدمناف الملك أبوعبد الملك القرشي الأموي، مولده بمكة وهو أصغرمن ابن الزبيربأربعة أشهروكان مولده سنة اثنتين[1] .

بيعته بالخلافة:

يقال إنه لما قدم عبيدالله بن زياد من العراق فنزل الشام أصاب بني أمية بتدمر[2]، قد نفاهم ابن الزبير من المدينة ومكة ومن الحجاز كله، فنزلوا بتدمر، وأصابوا الضحاك بن قيس أميرا على الشام لعبد الله بن الزبير،، فقدم ابن زياد حين قدم ومروان يريد أن يركب إلى ابن الزبير فيبايعه، بالخلافة، فيأخذ منه الأمان لبني أمية فقال له ابن زياد أنشدك الله ألا تفعل، ليس هذا برأي أن تنطلق وأنت شيخ قريش إلى أبي خبيب تبايعه بالخلافة، ولكن ادع أهل تدمر فبايعهم، ثم سر بهم وبمن معك من بني أمية إلى الضحاك بن قيس حتى تخرجه من الشام فقال عمرو بن سعيد بن العاص صدق والله عبيد الله بن زياد، ثم أنت سيد قريش وفرعها، وأنت أحق الناس، بالقيام بهذا الأمر[3]

ثم تابع عمرو بن سعيد القول: إنما ينظر الناس إلى هذا الغلام –يعني خالدبن يزيد بن معاوية – فتزوج أمه فيكون في حجرك .. ففعل مروان ذلك فتزوج أم خالد بن يزيد بن معاوية وهي فاختة ابنة أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ثم جمع بني أمية فبايعوه بالإمارة عليهم[4] .

صفاته الخُلقية:

كان ذا شهامة وشجاعة ومكر ودهاء، أحمر الوجه قصيرا أوقص، دقيق العنق، كبير الرأس واللحية، يلقب خيط باطل[5] ،لطول قامته واضطراب خلقه ... واختلفوا في حليته فقيل كان طوالا، وقيل كان قصيرا[6]

أثر تلك الصفات في السياسة الداخلية:

ظهر أثر صفاته الخُلقية في السياسة الداخلية من خلال حدثين مهمين وهما :

أولا: أخذُه البيعة لنفسه، والإيقاع بالضحاك بن قيس الفهري وقتله في مرج راهط (64هـ):

عرفنا في صفاته الخلقية أنه كان ذاشهامة وشجاعة ومكر ودهاء وقد انعكس ذلك على السياسة الداخلية ((فقد كان أهل الشام بايعوا ابن الزبير ما خلا أهل الجابية، ومن كان من بني أمية، ومواليهم وابن زياد، فبايعوا مروان بن الحكم ومن بعده لخالد بن يزيد بن معاوية، وذلك للنصف من ذي القعدة، ثم ساروا إلى الضحاك فالتقوا بمرج

(1) الذهبي، سيرأعلام النبلاء، ج3، ص476.، ابن الأثير، الكامل، ج4، ص14، وقيل سنة أربع هجرية، أبو الفدا، التبر المسبوك، ص 15.

(2) تدمر بالفتح ثم السكون وضم الميم مدينة قديمة مشهورة في بريّة الشام بينها وبين حلب خمسة أيام، ، ياقوت الحموي ،معجم البلدان، ج2، ص17، دار صادر، بيروت .

(3) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج5، ص540، 541،

(4) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج5، ص541.

(5) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج3، ص477. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج4، ص15،الدياربكري، تاريخ الخميس، ج2، ص307.

(6) المقدسي، البدء والتاريخ، ج6، ص19، 20.

راهط[1]، فاقتتلوا عشرين يوما،ثم كانت الهزيمة على الضحاك بن قيس فقتل الضحاك وأصحابه، ومع مروان ثلاثة عشر ألفا، والضحاك في ستين الفا ،فأقاموا عشرين يوما يقتتلون في كل يوم فقال ابن زياد لمروان : إن الضحاك في فرسان قيس، ولن ننال منهم مانريد ألا بمكيدة فسلهم الموادعة، واكفف عن القتال، وأعد الخيل، فإذا كفوا فارمهم بها، فمشت بينهم السفراء، فكف الضحاك عن القتال، فشد عليهم مروان في الخيل، ففزعوا إلى رايتهم من غير تعبئة، فقتل الضحاك، وقتل من فرسان قيس جماعة[2] .

مما تقدم يتضح لنا ماكان يتمتع به مروان بن الحكم من شجاعة ودهاء ومكر الأمر الذي تمثل في خروجه على ابن الزبير وقتل عامله على الشام وهو الضحاك بن قيس وقد كان قتله بمكره ودهائه الذي وصف به ؛حيث قام بخدعة الضحاك بن قيس مظهرا أنه يريد وقف القتال وبعد أن أوقف الضحاك القتال هجم عليه وأمعن القتل في صفوفه،حتى قتله.

ثانيا : الزواج من أم خالد بن يزيد بن معاوية ثم أخذ البيعة من بعده لولديه:

لم يلتزم بما عاهدعليه بني أمية من البيعة لخالد بن يزيد بن معاوية من بعده، وتزوج أم خالد بن يزيد بن معاوية حتى يكون ابنها ربيبا له في حجره، وعهد بالخلافة من بعده إلى ابنه عبدالملك ومن بعده إلى ابنه عبدالعزيز[3].وكونه يتزوج أم خالد زوجة يزيد بن معاوية لغرض منع ابنها من ولاية العهد ثم العهد لولديه عبد الملك وعبدالعزيز من بعده فهذا دليل على دهائه وشجاعته ومكره أيضا .

وفاته : مات مروان بدمشق لثلاث خلون من شهر رمضان، سنة خمس وستين وهو ابن ثلاث وستين وصلى عليه ابنه عبدالملك ،وكانت ولا يته تسعة أشهر وثمانية عشر يوما[4]

أبو الوليد عبد الملك بن مروان(65–86هـ) :

مولده: ولد عبد الملك بن مروان سنة ست وعشرين في المدينة في دار مروان في بني حديلة وقيل سنة ثلاث وعشرين[5]

بيعته بالخلافة:

(1) مرج راهط بنواحي دمشق، وهو أشهر المروج، ياقوت الحموي، معجم البلدان، مجلد 5، ص 101، دار صادر بيروت، 1977م وقيل راهط اسم رجل من قضاعة، وراهط موضع في الغوطة من دمشق، ياقوت ،معجم البلدان، مجلد 3، ص21،.دار صادر، بيروت .

(2) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة، ص259، 260.، ابوزرعة، تاريخ أبي زرعة الدمشقي، ص43، وضع حواشيه، خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة أولى، 1996م.، الطبري، تاريخ الطبري، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، ج5،ص540، ص541.ابن عبدربه، العقد الفريد، ج5، ص145.، ابن حجر، الإصابة، ج6، ص157، دار الكتب العلمية، بيروت .

(3) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة، ص261.

(4) ابن كثير، البداية والنهاية، ج11، ص714

(5) ابوزرعة، تاريخ أبي زرعة، ص44،تاريخ خليفة، ص292، الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج10، ص 389، دار الكتب العلمية، بيروت. الذهبي، سيرأعلام النبلاء، ج4ص246،

بويع بالخلافة بعهد من أبيه مروان بن الحكم سنة 65هـ.

صفاته الخُلُقية:

قال خليفة بن خياط : آدم أدعج العينين سهل الوجه[1] وقال الخطيب البغدادي دخل عبدالملك ابن مروان على معاوية وعنده عمرو بن العاص فسلم وجلس، ثم لم يلبث أن نهض فقال معاوية : ما أكمل مروءة هذا الفتى فقال عمرو : يا أمير المؤمنين : إنه أخذ بأخلاق أربعة وترك أخلاقا ثلاثة، إنه أخذ بأحسن البشر إذا لقي، وبأحسن الحديث إذا حدث، وبأحسن الاستماع إذا حُدث وبأيسر المؤونه إذا خولف، وترك مزاح من لا يوثق بعقله ولا دينه، وترك مجالسة لئام الناس، وترك من الكلام كل ما يعتذر منه[2] وقال الخطيب البغدادي : قال سعيد بن المسيب لابن ذمل العذري بلغني أنك مدحت هذا وأشار إلى الشام يعني عبدالملك قال : نعم يا أبا محمد قد مدحته، أفتحب أن تسمع القصيدة قال نعم اجلس فأنشده حتى وصل إلى قوله :

فما عابتك في خلق قريش بيثرب حين أنت بها غلام

فقال له سعيد صدقت، ولكنه لما صار إلى الشام بدّل[3] ولما سلم على عبدالملك بن مروان بالخلافة كان في حجره مصحف فاطبقه وقال هذا فراق بيني وبينك[4] وقال الخطيب البغدادي : قال أبو بشر أخبرني الوجيهي عن أبيه عن صالح بن الوجيه قال : قرأت في كتاب صفة الخلفاء في خزانة المأمون : كان عبد الملك رجلا طويلا أبيض، مقرون الحاجبين، كبيرالعينين مشرف الأنف دقيق الوجه ،حسن الجسم ليس بالقضيف ولا البادن، أبيض الرأس واللحية[5] وقال ابن الأثير : كان عبد الملك عاقلا حازما، أديبا لبيبا عالما[6]، وقال ابن طاهر المقدسي: يكنى أبا الزبّان لبخر فمه، ويلقب برشح حجر لبخله[7]، وكان عبد الملك أول من غدر في الإسلام ... وأول من نهى عن الكلام في حضرة الخلفاء، وكان الناس قبله يراجعونهم وأول خليفة بخل وأول من نهى عن الأمرالمعروف فإنه قال في خطبته بعد قتل ابن الزبير ولا يأمرني أحد بتقوى الله بعد مقامي هذا إلا ضربت عنقه[8]

أثر تلك الصفات في السياسة الداخلية :

1-غدره بعمرو بن سعيد الأشدق وقتله 69هـ:

(1) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة، ص262.

(2) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج10، ص389.، دار الكتب العلمية، بيروت ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج7، ص222، تحقيق د.علي محمد عمر، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة، 2001م.مع اختلاف يسير .

(3) تاريخ بغداد ج10، ص390.

(4) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج10، ص390، دار الكتب العلمية، بيروت .

(5) تاريخ بغداد، ج10، ص391، دار الكتب العلمية، بيروت، الذهبي، سير أعلام النبلاء ،ج4، ص247.

(6) ابن الأثير، الكامل ،ج4، ص239،

(7) المقدسي، البدء والتاريخ، ج6، ص26،.السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص359.، ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق وتقديم ،د.قاسم السامرائي، ص49،دار الآفاق العربية، طبعة أولى، القاهرة، 1999م .

(8) ابن الأثير، الكامل، ج4، ص240،دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة أولى، 1987م.، السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص359.

عرفنا أن عبدالملك بن مروان كان حازما كما كان ذا مكر ودهاء وقد استعمل الحزم والمكروالدهاء مع الخارجين عليه و من أ قرب المقربين منه، وهو عمرو بن سعيد بن العاص المعروف بالأشدق فقد مكربه حيث أدناه منه واستدرجه في داره وقتله، قال خليفة بن خياط : خلع عمرو بن سعيد بن العاص عبد الملك بن مروان وأخرج عبدالرحمن بن أم الحكم من دمشق وكان خليفة عليها فسار إليه عبدالملك فاصطلحا جميعا على أن يكون عمرو الخليفة بعد عبد الملك، وعلى أن لعمرو مع كل عامل عاملا وفتح المدينة ودخل عبد الملك ثم غدر به ...وقال : قلما اجتمع فحلان في إبل إلا أخرج أحدهما صاحبه ثم قتله .

وأنشأ يقول:

أدنيته مني لآمنَ مكره فأصولَ صولةَ حازمٍ مستمكنِ
غضبا ومحميةً لديني أنه ليس المسيءُ سبيلُه كالمحسنِ[1]

2- قتله مصعب بن الزبير72هـ :

تجهز عبدالملك وخرج يطلب مصعب بن الزبير بالعراق وسار مصعب أيضا يقصد الشام فالتقى الجمعان بدير الجاثليق[2] فخان مصعب بعض جيشه وأفلت زياد بن عمرو ومالك بن مسمع وطائفة لديهم ولحقوا بعبد الملك وكان عبدالملك قد كتب إليهم يعدهم ويمنيهم حتى أفسدهم وجعل مصعب كلما قال لمقدم من أمرائه : تقدم لايطيعه[3] .

وقتل مصعب بن الزبير الذي كان صديقا لعبد الملك بن مروا ن إنما يدل على حب عبدالملك للملك والسلطان، وقد عمد إلى الدهاء والمكر بمصعب حيث كتب إلى قادة جيشه وجنوده يعدهم ويمنيهم حتى أفسدهم عليه فلم يسمعوا أوامره وتركوا معسكره إلى معسكر عبدالملك بن مروان وكانت هزيمة مصعب وقتله .

3- قتله لابن الزبير وتمثيله به73هـ:

حيث قتله قائد جيشه الحجاج بن يوسف الثقفي سنة 73هـ، فقد جاء الحجاج إلى مكة فنصب المنجنيق عليها ..ورمى الحجاج المنجنيق على ابن الزبير وعلى من معه في المسجد ... ودام الحصار ستة أشهر وسبع عشرة ليلة وخذل ابن الزبيرأصحابُه وخرجوا إلى الحجاج .. وجاءه حجر من ناحية الصفا فوقع بين عينيه فنكس رأسه ... ثم اجتمعوا عليه فلم يزالوا يضربونه حتى قتل، ولما قتل كبر أهل الشام فقال ابن عمر المكبرون عليه يوم ولد خير من المكبرين عليه يوم قتل ...ورحل عروة بن الزبيرإلى عبد الملك بن مروان فسأله في إنزاله من الخشبة فأمر بإنزاله[4]

(1) تاريخ خليفة، ص266.، ابن الأثير، الكامل، ج4، ص86 :90، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة أولى، 1987م، ابن عبدربه، العقد الفريد، ج5، ص 156، 157، .ذكر خليفة أن مقتل عمرو بن سعيد سنة 70 وذكر ابن الأثيرفي كامله سنة 69، وقال قيل في سنة 70هـ والله أعلم .

(2) دير الجاثليق دير قديم البناء رحب الفناء ...قرب بغداد في غربي دجلة ...وهو في رأس الحد بين السواد وأرض تكريت، وعنده كانت الحرب بين عبدالملك بن مروان ومصعب بن الزبير وكان الجيشان على شاطيء دجلة، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص503.

(3) الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج1، ص59.

(4) الكتبي، فوات الوفيات، ج2، ص173، 174، 175، تحقيق د إحسان عباس، دار صادر، بيروت .

وأتى عروة إلى مكة فكانت غيبته ثلاثون يوما فأنزل الحجاج جثة عبدالله عن الخشبة وبعث بها إلى أمه فغسلته فلما أصابه الماء تقطع فغسلته عضوا عضوا فاستمسك وصلى عليه عروة، وقيل صلى عليه غيره[1] وخطب عبد الملك في سنة 75هـ عام حج بالناس بعد مقتل ابن الزبير قال : ((... أما بعد وإني والله لا أداوي أدواء هذه الأمة إلا بالسيف، ولست بالخليفة المستضعف – يعني عثمان – ولا الخليفة المداهن – يعني معاوية- أيها الناس إنا نحتمل لكم كل اللغوبة مالم يك عقد راية أو وثوب على منبر هذا عمرو بن سعيد وحقه حقه، وقرابته قرابته قال برأسه هكذا، فقلنا بسيفنا هكذا))[2].

4- قتله لابن الأشعث والقراء (83هـ):

كما قتل الحجاج قائد جيش عبد الملك بن مروان عبدالرحمن بن الأشعث في العراق وهزمه في دير الجماجم 83هـ فقد اتصلت الحرب بينهما مائة يوم كان فيها وقائع عديدة وكان يحمل بعضهم على بعض، فحمل أهل الشام مرة بعد مرة فنادى عبدالرحمن بن أبي ليلة: يامعشر القراء إن الفرار ليس بأحد من الناس بأقبح منه بكم[3] فحمل أصحاب عبدالرحمن على القوم حتى ازالوهم عن صفهم ثم عادوا فإذا جبلة بن زحر بن قيس الجعفي الذي كان على الرجالة صريع فانكسر القراء وحمل رأسه إلى الحجاج فقال يا أهل الشام: أبشروا هذا أول الفتح[4] وانهزم أهل العراق لايلوون على شيء ومضى عبدالرحمن في أناس من أهل بيته فخرجت إليه ابنته فالتزمها وخرج أهله يبكون فأوصاهم ...إن الذي يرزقكم حي ثم ودعهم وخرج من الكوفة[5] وجاء الحجاج إلى الكوفة فدخلها فجاء الناس إليه فكان لا يبايعه أحد إلا قال له أتشهد بالله أنك كفرت، فإذا قال نعم بايعه وإلا قتله[6] والتقى عبدالرحمن بن الأشعث مع الحجاج مرة أخرى في موقعة مَسْكِن بعد دير الجماجم وهُزِم ابن الأشعث أيضا ومضى ابن الأشعث ومعه فل نحو سجستان فأتبعهم الحجاج عمارة بن تميم[7] وذهب ابن الأشعث إلى رُتبيل[8] فتتابعت كتب الحجاج إلى رتبيل في ابن الأشعث أن ابعث به إليّ وإلا فوالله الذي لا إله إلا هو لأوطئن أرضك ألف ألف مقاتل...فأرسل رُتبيل إلى ابن الأشعث وثلاثين من أهل بيته وقد أعد لهم الجوامع والقيود فقيدهم وأرسل بهم جميعا إلى عمارة بن تميم فلما اقترب ابن الأشعث من عمارة ألقى نفسه من فوق القصر ... فمات فاحتز رأسه فأتى به

(1) ابن فهد، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق فهيم محمد شلتوت، ج2، ص100، طبعة 3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2005م.

(2) تاريخ خليفة ص 273.، السيوطي، تاريخ الخلفاء، 359، 360. قيل في سند الرواة الكديمي وهو متهم بالكذب كما ذكره السيوطي، ولم يذكر ذلك خليفة بن خياط .

(3) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج6، ص244،دراسة وتحقيق، محمد عبدالقادر عطا، ومصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة أولى، 1992م.بتصرف .

(4) السابق، ص245.

(5) السابق، ص246.

(6) السابق ص246.

(7) السابق ص247. قيل القيني، تاريخ خليفة ،ص288.وقيل اللخمي تاريخ خليفة ،هامش ص 288.

(8) رتبيل ملك الترك.

الحجاج فأرسل به إلى عبد الملك[1] جدير بالذكر أن تلك الصفات الخلقية التي انطوى عليها عبد الملك من حزم ومكر ودهاء قد هيأته لما فعل مع عمروبن سعيد الأشدق، ومصعب بن الزبير وعبد الله بن الزبير وفيما بعد مع عبدالرحمن بن الأشعث ،الأمر الذي جعل عبد الله بن عمر يكتب إليه: بسم الله الرحمن الرحيم:

من عبد الله بن عمرإلى عبدالملك بن مروان أمير المؤمنين

سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد،

فإنك راع، وكل راع مسؤول عن رعيته، الله لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة لاريب فيه، ومن أصدق من الله حديثا، لا أحد. والسلام[2] مما تقدم يتضح لنا ما كان عند عبدالملك بن مروان من حزم ودهاء ومكر وقد انعكس ذلك على سياسته الداخلية فقضى على كل المناوئين له مثل: عمرو بن سعيد الأشدق، ومصعب بن الزبير،وعبد الله بن الزبير، وعبد الرحمن بن الأشعث، ومن هؤلاء من قتل على يديه ومنهم من كان على يد الحجاج وهو قائد جيشه.

وفاته: مات عبدالملك بدمشق يوم النصف من شوال سنة ست وثمانين وهو ابن ثلاث وستين، صلى عليه الوليد بن عبدالملك[3] .

أبو العباس الوليد بن عبد الملك: (86-96هـ):

مولده: قال خليفة في تاريخه ولد الوليد بالمدينة في دار عبدالملك في بني حديلة سنة اثنتين وخمسين ويقال أقل من ذلك[4] وقال في موضع آخر: ولد الوليد بالمدينة سنة خمس وأربعين ... ومات وهو ابن إحدى وخمسين سنة ... وصلى عليه سليمان بن عبدالملك، وكانت ولايته تسع سنين وخمسة أشهر وأياما[5]

صفاته الخُلقية :

قال الذهبي: ((وكان مترفا دميما سائل الأنف طويلا أسمر بوجهه أثر جدري في عنفقته شيب يتبختر في مشيه، وكان قليل العلم نهمته في البناء ...وقيل كان يختم كل ثلاث، وختم في رمضان سبع عشرة مرة، وكان يقول لولا أن الله ذكر قوم لوط ما شعرت أن أحدا يفعل ذلك)) [6] .

(1) ابن الجوزي، المنتظم ،ج6 ص259، 260. بتصرف، ابن خياط، تاريخ ابن خياط، ص288 ،289.الطبري.،تاريخ الرسل والملوك، ج6، ص389، وما بعدها، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ،طبعة ثانية، دار المعارف بمصر، ابن الأثير، الكامل، ج4، ص214 ومابعدها راجعة وصححه د.محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة أولى، 1987م

(2) أبو زرعة الدمشقي، تاريخ أبي زرعة، ص44.وضع حواشيه، خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة أولى، 1996م.

(3) ابن خياط، تاريخ خليفة، ص292.، ابن عبدربه، العقد الفريد، ج5، ص168.

(4) تاريخ خليفة، ص300،

(5) تاريخ خليفة ص309.

(6) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج4، ص347،ابن الأثير، الكامل، ج4، ص291، السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص369.الديار بكري، تاريخ الخميس، ج2، ص311.

وجاء في تاريخ الطبري بعد أن فرغ الوليد من دفن أبيه عبدالملك صعد المنبر فقال: أيها الناس من أبدى لنا ذات نفسه ضربنا الذي فيه عيناه، ومن سكت مات بدائه ..، وكان جبارا عنيدا[1] وجاء في تاريخ الخلفاء للسيوطي وكان الوليد جبارا ظالما[2]

أثر تلك الصفات في السياسة الداخلية :

جمع الوليد بن عبدالملك بين خلقين متناقضين وظهر أثرهما في السياسة الداخلية؛ فقد جمع بين العناد والجبروت والظلم وقراءة القرآن وختمه وبناء المساجد وانعكس ذلك على سياسته الداخلية حيث كان عند أهل الشام من أفضل خلفائهم ؛ بنى المساجد ؛مسجد دمشق ومسجد المدينة على ساكنها الصلاة والسلام، ووضع المنابر، وأعطى المجذومين ومنعهم من سؤال الناس، وأعطى كل مقعد خادما وكل ضرير قائدا. .. وكان يمر بالبقال فيقف عليه ويأخذ منه حزمة بقل فيقول بكم هذه؟ فيقول بفلس، فيقول: زدنيها وكان صاحب بناء واتخاذ للمصانع والضياع فكان الناس يلتقون في زمانه فيسأل بعضهم بعضا عن البناء[3] ولكن على الجانب الآخر كان ظالما جبارا عنيدا اتضح ذلك في بداية خلافته من أول خطبة قال فيها : من أبدى لنا ذات نفسه ضربنا الذي فيه عيناه، ومن سكت مات بدائه، وتمادى في ذلك فقتل من الفقهاء، وأهل الحديث ومن هؤلاء : خبيب بن عبدالله بن الزبير، وسعيد بن جبير رضي الله عنهما، ونفصل الحديث عن قتلهما كالآتي :

أولا: مقتل التابعي خبيب بن عبدالله بن الزبير رضى الله عنه (93هـ):

ضرب عمر بن عبدالعزيز خبيب بن عبدالله بن الزبير رضي الله عنه –بأمر الوليد– وصب على رأسه قِربةً من ماء بارد وذكر محمد بن عمر أن أبا المليح حدثه عمن حضر عمر بن عبدالعزيز حين جلد خبيب بن عبدالله بن الزبير خمسين سوطا وصب على رأسه قِربة من ماء في يوم شاتٍ ووَقَفه على باب المسجد فمكث يومه ثم مات[4] هذا التصرف من قبل عمر بن عبدالعزيز غريب جدا على أخلاقه وزهده وتقواه وورعه، وكان بإمكانه أن يعتذر للوليد عن تنفيذ هذا الأمر أو يقترح على الوليد تصرف آخر، ولكن قدر الله وماشاء فعل ولقد حزن عمر على ذلك حزنا شديدا، فيما بعد .

ثانيا: مقتل التابعي سعيد بن جبير رضي الله عنه(94هـ):

جاء في تاريخ الطبري: ((لما أُتي الحجاجُ بسعيد بن جبير قال لعن الله ابن النصرانية – يعني خالدا القسري وهو الذي أرسل به من مكة– أما كنت أعرف مكانه! بلى والبيت الذي هو فيه بمكة ثم أقبل عليه فقال: يا سعيد ما أخرجك علي؟ فقال: أصلح الله الأمير إنما أنا امرؤ من المسلمين يخطيء مرة ويصيب مرة ... قال فعاوده في شيء

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج6، ص423.

(2) السيوطي، تاريخ الخلفاء، 366.

(3) ابن عبدربه، العقد الفريد، ج5، ص 171، ابن الأثير، الكامل، ج4، ص292، الطبري، تاريخ الطبري، ج6، ص496..بتصرف .

(4) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج6، ص482.تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .

فقال له إنما كانت له بيعة في عنقي قال: فغضب وانتفخ حتى سقط أحد طرفي ردائه عن مَنكبه فقال: يا سعيد ألم أقدم مكة فقتلت ابن الزبير، ثم أخذت بيعة أهلها وأخذت بيعتك لأمير المؤمنين عبد الملك! قال بلى، قال ثم قدمت الكوفة واليا على العراق فجددت لأمير المؤمنين البيعة فأخذت بيعتك له ثانية! قال بلى: قال فتنكث بيعتين لأمير المؤمنين، وتفي بواحدة للحائك بن الحائك! اضربا عنقه))[1] .

ولا شك أن هذا التصرف من قبل الحجاج إن دل على شيء فإنما يدل على تعطشه لسفك الدماء واستخفافه بالنفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق فكان أولى به أن يستتيبه أو يعذره أو يأخذ منه بيعة أخرى أو يؤجل النظر في أمره ويتشاور مع آخرين بشأنه، ولكنه أقدم على فعلته الشنعاء تلك، ولقد ندم الحجاج على قتله في الدنيا وسيندم على ذلك أكثر في الآخرة. ومن خلال ماتقدم يتضح لنا الصفات التي كان ينطوي عليها الوليد من مكر ودهاء وظلم وتجبر وقد انعكست تلك الصفات على سياسته الداخلية، وتمثلت في قتل خبيب بن عبدالله بن الزبير، على يد عمر بن عبدالعزيز وسعيد بن جبير على يد قائده الحجاج، ولو يقول قائل إن الوليد لم يقتل أقول بل هو القاتل؛ لأن كل ذلك بأمر الوليد واستحسانه.

وفاته : قال الطبري: ((توفي الوليد بن عبد الملك يوم السبت في النصف من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين في قول جميع أهل السير، واختلف في قدر مدة خلافته فقيل ملك الوليد عشر سنين إلا شهرا وقيل: .... كانت خلافة الوليد تسع سنين وسبعة أشهر وقيل كانت خلافته تسع سنين وثمانية أشهر وليلتين ... وكانت وفاة الوليد بدير مُرّان))[2].

أبو أيوب سليمان بن عبد الملك (96– 99هـ):

مولده وبيعته بالخلافة : ولد سليمان في دار عبدالملك بالمدينة في بني حديلة[3] وأمه وأم الوليد ولادة بنت العباس بن حزن العبسية[4] ولد سليمان في سنة أربع وخمسين وتولى الخلافة بعهد من أبيه عبدالملك[5] .

صفاته الخُلقية :

قال ابن طاهر المقدسي : .. وكان خيّرا فصيحا[6] وقال الذهبي : وكان دينا فصيحا مفوها عادلا محبا للغزو ...وكان أبيض كبير الوجه مقرون الحاجب جميلا له شعر يضرب منكبيه ..ونظر في أمر الرعية، وكان لا بأس به،

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج6، ص490.

(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج6،ص 495،بتصرف ودير مران: بالقرب من دمشق على تل مشرف على مزارع الزعفران ورياض حسنة وبناؤه بالجص ... وهو دير كبيرفيه رهبان كثيرة وفي هيكله صورة دقيقة المعاني. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، مادة د.ي. ر ص533.دار صادر، بيروت

(3) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة، ص317.

(4) الذهبي، سير أعلام النبلاء ،ج5، ص111، 112.

(5) أبو الفدا، التبر المسبوك، ص16.

(6) ابن طاهر المقدسي، البدء والتاريخ، ج6، ص41،

وكان يستعين في أمر الرعية بعمر بن عبد العزيز[1] وكان سليمان ينهى الناس عن الغناء، وكان من الأكلة حتى قيل إنه أكل مرة أربعين دجاجة، وقيل أكل مرة خروفا وست دجاجات وسبعين رمانة ومكوك[2] زبيب طائفي[3]

أثر تلك الصفات في السياسة الداخلية :

قال الذهبي : عزل عمال الحجاج وكتب إن الصلاة كانت قد أميتت فأحيوها بوقتها..وقيل رأى بالموسم الخلق فقال لعمر بن عبدالعزيز أما ترى هذا الخلق الذي لا يحصيهم إلا الله ولا يسع رزقهم غيره فقال : يا أمير المؤمنين هؤلاء القوم رعيتك، وهم غدا خصماؤك فبكى وقال بالله أستعين وعن ابن سيرين قال : يرحم الله سليمان افتتح خلافته بإحياء الصلاة وختمها باستخلافه عمر[4] وكان سليمان صاحب طعام ونكاح فكان الناس يسأل بعضهم بعضا عن النكاح والطعام[5] وكانت خلافة سليمان بن عبد الملك كأنها خلافة عمر بن عبدالعزيز، كان إذا أراد شيئا قال له: ما تقول يا أبا حفص ؟ قالا جميعا[6] وكان الناس يقولون سليمان مفتاح الخير ذهب عنهم الحجاج فولي سليمان فأطلق الأسارى وخلى أهل السجون وأحسن إلى الناس واستخلف عمر بن عبد العزيز[7]؛ ولأنه كان يحب الغزو فتح في أيامه: جُرجان، وحصن الحديد ...وطَبَرِستان ومدينة الصقالبة[8] .

وفاته :

قال خليفة بن خياط مات سليمان بدابق يوم الجمعة لعشر خلون من صفر سنة تسع وتسعين ...وكانت ولايته سنتين وعشرة أشهر ونصفا أو تسعة أشهر ونصف[9] وقال الطبري : توفي .... بدابق من أرض قنسرين يوم الجمعة لعشر ليال بقين من صفر فكانت ولايته سنتين وثمانية أشهر إلا خمسة أيام ... وقيل كانت خلافته سنتين وسبعة أشهر وقيل سنتين وثمانية أشهر وخمسة أيام ... وقيل استخلف سليمان بن عبد الملك بعد الوليد ثلاث سنين وصلى عليه عمر بن عبدالعزيز[10]

المبحث الثاني : أبوحفص عمر بن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم الأموي (99 :101هـ) :

(1) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج5، ص 111، 112، الدياربكري، تاريخ الخميس، ج2، ص314.
(2) مكوك : مكيال قديم وهو يسع صاعا ونصفا .
(3) الذهبي سير أعلام النبلاء، ج5، ص112.السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص370.
(4) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج5، ص112.في العقد الفريد لابن عبد ربه، افتتحها برد المظالم، وإخراج المسجونين، ج5، ص172.
(5) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج4، ص292، راجعه وصححه د. محمد يوسف الدقاق .
(6) أبو زرعة الدمشقي، تاريخ أبي زرعة، ص45.
(7) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج6، ص546، ابن الأثير، الكامل، ج4، ص311،
(8) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص371.
(9) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة، ص316، 317.
(10) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج6، ص546.

مولده : ولد عمر بمصر سنة إحدى وستين ،.. وقيل سنة تسع وخمسين ،.. وقيل سنة ثلاث وستين، وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه[1]

بيعته بالخلافة : بويع بالخلافة بعهد من سليمان في صفر سنة تسع وتسعين .. فمكث فيها سنتين وخمسة أشهر[2] وقال البخاري في التاريخ الأوسط : استخلف سنة تسع وتسعين، ومات سنة إحدى ومائة[3]

صفاته الخُلقية :

قال الذهبي : ((وذكر صفته سعيد بن عفير : أنه كان أسمر، رقيق الوجه، حسنه، نحيف الجسم، حسن اللحية، غائر العينين، بجبهته أثر نفحة دابة قد وخطه الشيب وقال الخُطَبِيّ : رأيت صفته في بعض الكتب ؛ أبيض رقيق الوجه، جميلا، نحيف الجسم حسن اللحية، غائر العينين بجبهته أثر حافر دابة فلذلك سمي أشج بني أمية وقد وخطه الشيب))[4] من خلال ماقاله الذهبي يتضح لنا أن هناك اتفاق على أنه كان جميلا نحيفا، حسن اللحية، غائر العينين في جبهته أثر حافر دابة،وخطه الشيب، لكن هناك اختلاف في لون بشرته فهناك من قال أسمر وهناك من قال أبيض، والله أعلم .، وكان عمر بن عبد العزيز صاحب عبادة، فكان الناس يسأل بعضهم بعضا عن الخير، ماوِرْدُ ك الليلة؟، وكم تحفظ من القرآن ؟وكم تصوم من الشهر؟[5] وقال القرماني في أخبار الدول وآثار الأول: وكان عفيفا عابدا زاهدا ناسكا مؤمنا تقيا صالحا[6]

وقال أبوحنيفة الدينوري: قالوا : فلما استخلف قعد للناس على الأرض ...وكان إذاجلس للناس قال: بسم الله، وبالله، وصلى الله على رسول الله[7] أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ماكانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون[8]

وقال الحكم بن عمر: شهدت عمر بن عبدالعزيز حين جاءه أصحاب المراكب يسألونه العلوفة ورزق خدمتها فقال: ابعث بها إلى أمصار الشام يبيعونها فيمن يزيد، واجعل أثمانها في مال الله، تكفيني بغلتي هذه الشهباء[9]

وقال فرات بن السائب : قال عمر بن عبدالعزيز لامرأته فاطمة بنت عبدالملك، وكان عندها جوهر أمر لها به أبوها لم ير مثله : اختاري : إما أن تردي حليك إلى بيت المال، وإما أن تأذني لي في فراقك ؛ فإني أكره أن أكون

(1) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة، ص322، 317.، السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص374، وزاد السيوطي فقال بحلوان وقال قيل سنة ثلاث وستين.

(2) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص377.

(3) البخاري، التاريخ الأوسط، ج1، ص392، دراسة وتحقيق محمد بن إبراهيم اللحيدان، دار الصميعي، الرياض، طبعة أولى 1998م.

(4) الذهبي، سير، أعلام النبلاء، ج5، ص115، 116. حقق هذا الجزء، شعيب الأرنؤوط، طبعة ثانية، 1982م.الدياربكري، تاريخ الخميس، ج2، ص316.

(5) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج4، ص292، راجعه وصححه، د. محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية طبعة أولى، 1987م

(6) القرماني، أخبار الدول وآثار الأول، ج2، ص40، دراسة وتحقيق، د. أحمد حطيط، د. فهمي سعد، عالم الكتب، بيروت، طبعة أولى، 1992م.

(7) أبو حنيفة الدينوري، تحقيق عبدالمنعم عامر ، الأخبار الطوال، ص331،1959م القاهرة

(8) سورة الشعراء /205.

(9) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص377.

أنا وأنت وهو في بيت واحد ؟ قالت: لا ؛ بل اختارك عليه وعلى أضعافه، فأمر به فحمل حتى وضع في بيت مال المسلمين[1] وقال مسلمة بن عبد الملك: دخلت على عمر بن عبدالعزيز أعوده في مرضه ،فإذاعليه قميص وسخ فقلت لفاطمة بنت عبد الملك : ألا تغسلين قميصه ؟ قالت: والله ما له قميص غيره[2] وقال عون بن المعمر : دخل عمر على امرأته فقال : يا فاطمة عندك درهم أشتري به عنبا ؟قالت : لا، قالت : وأنت أمير المؤمنين لا تقدر على درهم تشتري به عنبا ؟قال هذا أهون علينا من معالجة الأغلال غدا في جهنم[3] .

أثر تلك الصفات في السياسة الداخلية: قال القرماني: وهو الذي أزال ماكان بنو أمية تذكر به عليا، فإنهم كانوا يسبون عليا من سنة إحدى وأربعين إلى أول سنة تسع وتسعين آخر أيام سليمان بن عبد الملك، فلما ولي عمر بن عبد العزيز أبطل ذلك وكتب إلى نوابه بإبطاله في آخر الخطبة بقراءة قوله تعالى: إن الله يأمر بالعدل والإحسان[4] .

وعن مغيرة قال جمع عمر حين استخلف بني أمية فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت له فَدَك ينفق منها، ويعول منها على صغير بني هاشم، ويزوج منها أيمهم، وإن فاطمة سألته أن يجعلها لها ،فأبى، فكانت كذلك حياة أبي بكر ثم عمر، ثم أقطعها مروان، ثم صارت لعمر بن عبدالعزيز، فرأيت أمرا منعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة ليس لي بحق، وإني أشهدكم أني قد رددتها على ماكانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم[5] وعن الليث قال : لما ولي عمر... بدأ بلحمته وأهل بيته، فأخذ مابأيديهم، وسمي أموالهم مظالم[6] وقال مالك بن دينار : لما ولي عمر بن عبدالعزيز قالت رعاء الشاء: من هذا الصالح الذي قام على الناس خليفة عدل ؟!كفت الذئاب عن شائنا[7] .ولحسن خلقه وورعه وزهده وتقواه – كما تقدم – ملأ الأرض عدلا .وبذلك اعتبر خامس الخلفاء الراشدين، ومناقبه كثيرة ويكفي ما عرضنا منها خشية الإطالة .

وفاته: قال ابن خياط في تاريخه عمن حدثه : إن عمر بن عبدالعزيز مات يوم الجمعة لخمس بقين من رجب بدير سمعان من أرض حمص، وصلى عليه يزيد بن عبدالملك بن مروان وهو ابن تسع وثلاثين سنة وستة أشهر[8] وقال ابن الأثير في الكامل : قيل توفي عمر بن عبدالعزيز في رجب سنة إحدى ومائة، وكانت شكواه عشرين يوما، ولما مرض قيل له لو تداويت قال : لوكان دوائي في مسح أذني مامسحتها نعم الموهوب إليه ربي، وكان موته

(1) السابق، ص379.
(2) السابق، ص382.
(3) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص382.
(4) القرماني، أخبار الدول وآثار الأول، ص40.
(5) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص378.، ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج5، ص182، مع اختلاف يسير .
(6) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص378.
(7) السابق ، تاريخ الخلفاء، ص380.
(8) ابن خياط، تاريخ خليفة ابن خياط، ص321.

بديرسمعان، وقيل بخناصرة ودفن بدير سمعان، وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر، وكان عمره، تسعا وثلاثين سنة وأشهرا[1] وهكذا نجد توافقا بين المؤرخين في مدة خلافته وهي سنتان وخمسة اشهر، كما نجد اتفاقا بينهم في أنه لم يكمل أربعين عاما، رحمه الله رحمة واسعة

أبو خالد يزيد بن عبدالملك(101–105هـ) :

مولده : قال الذهبي : ولد سنة إحدى وسبعين، وأمه هي عاتكة بنت يزيد بن معاوية[2]

بيعته بالخلافة : استخلف بعهد عقده له أخوه سليمان بعد عمر بن عبدالعزيز[3]

صفاته الخُلقية :

قال الذهبي : وكان أبيض جسيما، مدور الوجه، لم يتكهل، قال ابن جابر، أقبل يزيد بن عبدالملك على مجلس مكحول فهممنا أن نوسع له فقال دعوه يتعلم التواضع[4] وكان نقش خاتمه قني السيئات ياعزيز ... فلما ولي قال: خذوا بسيرة عمر بن عبدالعزيز، فسار بسيرته مدة[5] فدخل عليه أربعون رجلا من مشايخ دمشق، وحلفوا له أن ليس على الخلفاء حساب ولا عقاب في الآخرة، وخدعوه بذلك فانخدع لهم[6] وكان يزيد صاحب لهو وقصف وشغف لحبابة واشتهر بذكرها[7] وكان عند يزيد شيء من القسوة وحب الانتقام والوعيد[8] وهكذا

فالمتأمل في الصفات الخُلقية ليزيد بن عبدالملك يجدها بين التخلق والاتباع لعمر وبين اللهووالقسوة والوعيد وحب الانتقام، وسنعرض لأثر تلك الصفات في السياسة الداخليه في السطور القادمة.

أثر تلك الصفات في السياسة الداخلية :

عرفنا أن يزيد جمع بين التخلق بسيرة عمر في العدل وحسن الاتباع له– حيث عمل بها مدة –وبين اللهو والوعيد وحب الانتقام، وقد ظهر أثر تلك الصفات كلها في سياسته: وسنكتفي في بيان أثر تلك الصفات الخلقية في السياسة الداخلية من خلال ثلاثة أحداث وقعت في عهده وبإذنه وهي: مقتل يزيد بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي والانتصار لفاطمة بنت الحسين بن علي رضي الله عنهما من عبدالرحمن بن الضحاك عامله على المدينة ومكة، ولهوه وشغفه بحَبابة ، ونعرض لها بشيء من التفصيل فيما يأتي :

---

(1) ابن الأثير، الكامل، ج4، ص326.

(2) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج5، ص150.

(3) الذهبي، سير أعلام، ج5، ص150.

(4) الذهبي، سير أعلام ج5، ص150، ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص13، 16، وزاد ابن كثير في صفته فقال :كان طويلا أفقم الفم لم يشب، ج13، ص16..، الدياربكري، تاريخ الخميس، ج2، ص318.

(5) القرماني، أخبار الدول وآثار الأول، ج2، ص45، السيوطي، تاريخ الخلفاء، 399، حدد السيوطي تلك المدة بأربعين يوما ثم عدل عن ذلك .

(6) القرماني، ج2، ص46.، السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص399، ابن كثير، البداية والنهاية ج13، ص13. وزاد ابن كثير فقال : فلما ولي عزم أن يتأسى بعمر بن عبدالعزيز فما تركه قرناء السوء وحسنوا له الظلم ج13، ص13 .

(7) ابن طاهر المقدسي، البدء والتاريخ، ج6، ص48.، ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج5، ص188، 190.

(8) يتضح ذلك من علاقته بيزيد بن المهلب بن أبي صفرة قبل الخلافة في عهد سليمان .

1–مقتل يزيد بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي (102هـ):

قال السيوطي : وفي سنة اثنتين خرج يزيد بن المهلب على الخلافة فوجه إليه مسلمة بن عبد الملك بن مروان فهزم يزيد وقتل وذلك في العَقْر موضع بقرب كربلاء[1]وحزرأس يزيد بن المهلب وذهب به إلى يزيد بن عبدالملك ،فسُر بذلك وبعد مقتل يزيد بن المهلب ذهب مسلمة بالأسرى من آل المهلب إلى يزيد وكانوا ثلاثة عشر رجلا فقتلهم ولم يرحمهم حتى الغلام الذي كان معهم على الرغم من توسط كثير عزة لهم وشفاعته فيهم[2] ولاشك أن هذا يعكس ماكان لدى يزيد بن عبدالملك من القسوة والرغبة في الانتقام من يزيد بن المهلب وآله ،((وكان سبب العداوة بينهما أن ابن المهلب خرج من الحمام أيام سليمان بن عبدالملك، وقد تضمّخ بالغالية فاجتاز بيزيد بن عبدالملك وهو إلى جانب عمر بن عبدالعزيز فقال: قبح الله الدنيا لوددت أن مثقال غالية بألف دينار فلاينالها إلا كل شريف فسمع ابن المهلب فقال له : بل وددت أن الغالية لو كانت في جبهة الأسد، فلاينالها إلا مثلي، فقال له يزيد بن عبدالملك: والله لئن وليت يوما لأقتلنك فقال له ابن المهلب : والله لئن وليت هذا الأمر وأنا حي لأضربن وجهك بخمسين ألف سيف)) [3] . وقيل إن سبب العداوة بين يزيد بن عبد الملك ويزيد بن المهلب أن يزيد بن المهلب كان قد عذب أصهاره آل أبي عقيل[4] فقد كانت ابنة أخ الحجاج – محمد بن يوسف – عند يزيد، وقد وفّى يزيد بن عبدالملك بوعده بقتل يزيد بن المهلب ،كما قتل الأسرى من آل المهلب ليبرهن على موت الرحمة والشفقة عنده ،هذا وقد حزن على يزيد بن المهلب الكثيرون وهناك من رثاه ،قال السيوطي قال الكلبي : نشأت وهم يقولون ضحى بنو أمية يوم كربلاء بالدين ويوم العَقْر بالكرم[5] .

2–الانتصاف من عبد الرحمن بن الضحاك لفاطمة بنت الحسين رضي الله عنه (104هـ) :

انتصف يزيد بن عبد الملك من عبدالرحمن بن الضحاك بن قيس حيث عزله عن المدينة ومكة وكان عامله عليهما لمدة ثلاث سنين ((وكان سبب ذلك أن عبدالرحمن خطب فاطمة بنت الحسين ابن علي فقالت: مالك ما أريد النكاح ولقد قعدت على بني هؤلاء فألح عليها، وقال: لئن لم تفعلي لأجلدن أكبر بنيك في الخمر)) [6] وكان هناك رجل من أهل الشام على ديوان المدينة، يقال له ابن هرمز وقد رفع حسابه ويريد أن يذهب إلى يزيد في دمشق فدخل على فاطمة يودعها فقال لها هل من حاجة؟ فقالت: ((تخبر أمير المؤمنين بما ألقى من ابن الضحاك وما يتعرض مني، وبعثت رسولا بكتاب إلى يزيد يخبره بذلك))[7] في باديء الأمر لم يخبر ابن هرمز يزيد بطلب

(1) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص399.
(2) ابن الأثير، الكامل ج4، ص339-344.بتصرف .
(3) ابن الأثير، الكامل، ج4، ص344.
(4) الطبري، تاريخ الرسل والملوك ،ج6، ص564.
(5) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص400.
(6) ابن الأثير الكامل، ج4، ص362.
(7) ابن الأثير، الكامل، ج4، ص362.

فاطمة بنت الحسين، عندئذ قال الحاجب ليزيد بالباب رسول من فاطمة بنت الحسين، فقال ابن هرمز هي حملتني رسالة وأخذ يزيد الكتاب فقرأه وجعل يضرب بخيزران في يده ويقول: ((لقد اجترأ ابن الضحاك هل من رجل يسمعني صوته في العذاب، وأنا على فراشي؟ قيل له عبدالواحد بن عبد الله النضري))[1] فكتب يزيد إليه : قد وليتك المدينة فاهبط إليها واعزل عنها ابن الضحاك، وغرمه أربعين ألف دينار، وعذبه حتى أسمع صوته وأنا على فراشي[2]

وعندما علم ابن الضحاك بهذا نزل على مسلمة بن عبدالملك فاستجاره فحضر مسلمة عند يزيد فطلب إليه حاجة فقال: ((كل حاجة هي لك إلا ابن الضحاك فقال هي والله ابن الضحاك، فقال والله لاأعفيه أبدا وردّه إلى المدينة إلى عبدالواحد فعذبه ولقي شرا [3] .

وهذه الواقعة التي انتصر فيها لفاطمة بنت الحسين تحسب له فربما تأسى فيها بعمربن عبدالعزيز، وحاول نصر المظلوم ونشر العدل والطمأنينة والأمان في المجتمع، وقد أحسن في ردع ابن الضحاك الذي تجرأ على مضايقة فاطمة بنت الحسين رضي الله عنهما.

3– لهوه وشغفه بحَبَابة (105هـ):

عُرِف عن يزيد بن عبد الملك اللهو والقصف والشغف بالجواري فقد قيل عنه: كان من فتيانهم وبعد أن ولي الخلافة حاول السير على طريقة عمر وعدله ولكنه رجع إلى ملذاته ولهوه ،وكانت له جارية تُدعَى حَبابة وعُرف بحبه الشديد لها، وقيل ماتت في وقت قد خلا بها للمتعة والسرور، وحزن عليها حزنا شديدا لدرجة أنه أبقاها مدة لم يدفنها حتى عوتب فيها فدفنها، وقيل نبش قبرها وقد لامه أخوه مسلمة بسببها ، وأبقاه مدة لايخرج حتى لايسفهه الناس، ويخلعوه، وقد عرض جمع غفير من المؤرخين[4] لعلاقة يزيد بجاريته حَبَابة وشغفه بها ولهوه معها وهناك من الباحثين من يحاول تكذيب هذا الخبر ويصفه بالتزييف ،وليت شعري لماذالم يذكر هذا الخبر بالتحديد إلا مع يزيد بن عبدالملك ؟ فلماذا لم يذكر–مثلا – مع الوليد أو سليمان، أو عبد الملك بن مروان، أو مع مروان بن الحكم؟! فالواقع أن يزيد كان صاحب لهو وطرب وشهد له التاريخ بذلك .

وفاته :

---

(1) ابن الأثير، الكامل، ج4 ،ص 363.

(2) السابق، نفس الصفحة .

(3) ابن الأثير، الكامل، ج4، ص363.، ابن كثير البداية والنهاية، ج13، ص8

(4) ابن طاهر المقدسي، البدء والتاريخ، ج6، ص48، 49.، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج7، ص22، 23، 24.
ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج4، ص368.الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج5، ص150، 151، 152..، الصفدي، الوافي بالوفيات، تحقيق واعتناء، أحمد الأرناؤود، تركي مصطفى، ج28، ص29، 30، 31. طبعة أولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2000م.، ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص15، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج1، ص325.قدم له محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت. وغيرهم.

قال خليفة بن خياط: وفي سنة خمس ومائة مات يزيد بن عبدالملك بن مروان ...مات بأربد من بلاد البلقاء يوم الجمعة لخمس بقين من شعبان سنة خمس ومائة وصلى عليه أخوه هشام بن عبد الملك وهو ابن أربع أو ثلاث وثلاثين وكانت ولايته أربع سنين وشهرا[1]

أبو الوليد هشام بن عبدالملك بن مروان (105–125هـ) :

مولده وبيعته بالخلافة : ولد سنة سبعين[2] وقال الذهبي : استخلف بعهد معقود له من أخيه يزيد، ثم من بعده، لولده يزيد وهو الوليد ... استخلف في شعبان سنة خمس ومائة إلى أن مات في ربيع الآخر، وله أربع وخمسون سنة[3].

صفاته الخُلقية: قال الذهبي: وكان جميلا أبيض مسمّنا أحول، خضب بالسواد[4] ولما كان به من حول أطلق عليه أحول بني أمية ،قال ابن طاهر المقدسي : يقال له أحول بني أمية[5] وكان حازما ،عاقلا ذا رأي، ودهاء، وعزم ،وقلة شر[6] وكان في خلافته جماعا للأموال ،يبخل، وكان ذكيا، مدبرا، له بصر بالأمور جليلها وحقيرها، وكان فيه حلم وأناة، شتم مرة رجلا من الأشراف، فقال، أتشتمني وأنت خليفة الله في الأرض، ؟ فاستحيا وقال: اقتص مني بدلها أو قال بمثلها، فقال : إذن أكون سفيها مثلك، قال : فخذ عوضا منها قال : لا أفعل، قال : فاتركها لله، قال هي لله ثم لك، فقال هشام عند ذلك : والله لا أعود إلى مثلها[7] وكان هشام من أكره الناس لسفك الدماء[8].

قال القرماني: ((وفي أيامه قحطت البادية فقدمت عليه العرب فهابوا أن يكلموه وكان فيهم درواس بن حبيب وهو ابن ست عشرة سنة له ذؤابة وعليه شملتان، فوقعت عليه عين هشام فقال لحاجبه : من أراد أن يدخل علي فليدخل، فدخل حتى الصبيان، فوثب درواس حتى وقف بين يديه، مطرقا، فقال : ياأمير المؤمنين إن للكلام طيا ونشرا، وإنه لايعرف مافي طيه إلا بنشره، فإن أذن لي أمير المؤمنين بنشره نشرته، فأعجبه كلامه وقال : انشره لله درُك، فقال :ياأمير المؤمنين إنه أصابتنا سنون ثلاث ؛ سنة أذابت الشحم، وسنة أكلت اللحم، وسنة أدقت

(1) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة، ص331.

(2) أبو الفدا، التبر المسبوك، ص16.

(3) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج5، ص351.

(4) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج5، ص351.، ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص 151، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج1، ص377، قدم له وعلق عليه محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، القرماني، أخبار الدول وآثار الأول، ج2، ص48.، الدياربكري، تاريخ الخميس، ج2، ص318.

(5) ابن طاهر المقدسي، ج6، ص49.ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص51 مع اختلاف يسير بين عبارة المؤرخَين قال ابن العمراني: ويعرف بهشام الأحول .

(6) القرماني، أخبار الدول وآثار الأول، ج2، ص48.

(7) ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص151، 152.، تحقيق د عبدالله بن عبدالمحسن التركي، دار هجر، الجيزة، الطبعة أولى، 1998م

(8) البداية والنهاية، ج13، ص152.

العظم، وفي أيديكم فضول مال، فإن كانت لله ففرقوها على عباده، وإن كانت لهم فلا تحبسوها عنهم، وإن كانت لكم فتصدقوا بها عليهم ؛فإن الله يجزي المتصدقين، فقال هشام : ما ترك لنا الغلام في واحدة من الثلاث عذرا، فأمر للبوادي بمائة ألف دينار، وله بمائة ألف درهم))[1] .

هذه هي الصفات الخلقية التي كان يتمتع بها هشام بن عبدالملك من حلم وأناة وكرم وحزم ودهاء وعقل، وسنعرض في الصفحات القادمة لأثر تلك الصفات في السياسة الداخلية .

أثر تلك الصفات في السياسة الداخلية :

لقد انعكست الصفات الخلقية لهشام بن عبد الملك على السياسة الداخلية من خلال ثلاثة أمور نفصلها على النحو التالي:

أولا: قال عبد الله بن علي عم السفاح جمعت دواوين بني أمية فلم أر أصلح للعامة والسلطان من ديوان هشام[2]. فذلك أثر ماكان فيه من الرأي والحزم والتدبير، والبصر بالأمور جليلها وحقيرها وهذا الديوان فيه كل ما يتعلق بأرزاق الجند وغيرهم وفيه كل ما يتعلق بشئون الحكم وقد نال الديوان في عهد هشام إعجاب عبد الله بن علي، فلاشك أن هذا يدل على ماكان فيه من حسن الإدارة وحسن توزيع العطاء، الأمر الذي أدى إلى الاستقرار وعدم الخروج عليه أو التذمر منه، وذلك في معظم أحواله.

ثانيا : كتب الجنيد بن عبدالرحمن والي خراسان إلى خالد بن عبدالله القسري والي العراق يعلمه انتشار خراسان وما حدث فيها من الدعاة إلى محمد بن علي، فكتب خالد بن عبدالله إلى هشام بن عبدالملك يعلمه بذلك فكتب إليه هشام يأمره بالكتاب إلى الجنيد ((ألا يرغّب في الدماء، وأن يكف عمن كف عنه ويسكّن الناس بجهده، وأن يطلب النفر الذين يدعون الناس حتى يجدهم فينفيهم)) [3]

ثالثا : قال خالد بن عبدالله القسري : ((أيها الناس خرجت غازيا بإذن هشام وأمره فحبس ابني وغلماني، أيها الناس مالي ولهشام ؟والله ليكفنّ عني هشام –يسميه في كل مرة باسمه ولا يقول أمير المؤمنين –أو لأدعونّ إلى عراقي الهوى شامي الدار، حجازي الأصل إبراهيم بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس، ألا وإني قد أذنت لكم أن تبلغوا هشاما، وبلغ هشاما ذلك فقال خَرِفَ أبو الهيثم وأنا حري باحتماله، لقديم حرمته، وعظيم حقه)) [4] .

(1) القرماني، أخبار الدول وآثار الأول ،ج2، ص49،

(2) ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص155.

(3) أبو حنيفة الدينوري، الأخبار الطوال، 336.

(4) أ بوحنيفة الدينوري، الأخبار الطوال، ص345.

فهذا يوضح لنا ما كان عند هشام من حلم وتؤدة انعكست على معاملته مع أحد رجال دولته وكيف صبر عليه، ولم ينتقم منه كما كان يتوقع. وهكذا ومن كل ما تقدم يتضح لنا أن الحلم كان صفة متأصلة في هشام بن عبدالملك، وانعكست على سياسته الداخلية .

وفاته: كانت وفاته بالرُصافة يوم الأربعاء، لست بقين من ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة وهو ابن بضع وخمسين سنة وقيل إنه جاوز الستين وصلى عليه الوليد بن يزيد بن عبد الملك الذي تولى الخلافة بعده وكانت خلافة هشام تسع عشرة سنة وسبعة أشهر وأحد عشر يوما[1]

أبو عبد الملك مروان بن محمد بن مروان بن الحكم الملقب بالحمار (127–132هـ):

مولده وبيعته بالخلافة :مولده سنة خمس وستين[2] **وبويع في نصف صفرسنة سبع وعشرين، واستوثق له الأمر،** فأول مافعل أمر بنبش يزيد الناقص فأخرجه من قبره وصلبه لكونه قتل الوليد[3] وكانت خلافته منذ سلم إليه إبراهيم بن الوليد إلى أن بويع للسفاح خمس سنين وشهرا، وبقي مروان بعد بيعة السفاح تسعة أشهر[4]

صفاته الخُلقية :

قال الدينوري : كان يومئذ شيخ بني أمية وكبيرهم وكان ذا أدب كامل ورأي فاضل[5] وقال الذهبي : وكان مروان بطلا شجاعا داهية رزينا جبارا يصل السير بالسرى ولا يجف له لِبْدُ ...وكان أبيض ضخم الهامة شديد الشُهْلة كث اللحية أبيضها رَبْعَة مهيبا شديد الوطْأة أديبا بليغا له رسائل تؤثر[6] وقال ابن الأثير : وكان مروان أبيض أشهل شديد الشهلة ضخم الهامة كث اللحية أبيضها ربعة ،وكان شجاعا حازما، إلا أن مدته انقضت فلم ينفعه حزمه ولا شجاعته[7] وقال في موضع آخر : وكان مروان ذا رأي ومكيدة[8] وقال ابن كثير : وقد كان أبيض مشربا أزرق العينين كبير اللحية ضخم الهامة، ربعة، ولم يكن يخْضِب ،....وكان لا يفارق الغزو ...وقد كان شجاعا بطلا مقداما حازم الرأي[9] وقال السيوطي: وكان مشهورا بالفروسية والإقدام والرُجْلة والدهاء والعسف[10]

.

(1) ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص158، 159.
(2) أبو الفدا، التبر المسبوك، ص17.
(3) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص412، بتصرف.
(4) ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص263.
(5) الدينوري، الأخبار الطوال، ص350.
(6) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج6، ص74.،الدياربكري، تاريخ الخميس، ج2، ص322.
(7) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، راجعه وصححه د.محمد يوسف الدقاق، ج5، ص77، طبعة أولى، دار الكتب العلمية، بيروت ،1987م.
(8) ابن الأثير، ، الكامل في التاريخ، راجعه وصححه، د. محمد يوسف الدقاق، ج5، ص3 .
(9) ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص263.
(10) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص412.

من خلال ما تقدم نجد إجماعا من المؤرخين على أنه كان جبارا شديد الوطأة، ضخم الهامة، شديد الشهلة عنده شجاعة وحزم وعسف ودهاء، وأدب كامل ورأي فاضل، وسنرى أثر تلك الصفات في السياسة الداخلية إن شاء الله.

أثر تلك الصفات في السياسة الداخلية :

انعكست الصفات الخلقية لمروان بن محمد من جبروت وعسف وإقدام ودهاء وأدب ومكيدة على السياسة الداخلية، حيث ظهرت صفاته جلية واضحة مدة خلافته التي لم يهنأ فيها؛ لانشغاله بالحرب والقتال للخارجين عليه والمناوئين له، ونفصل ذلك كالآتي :

أولا: إمعان القتل والصلب والتنكيل بأهل حمص لخروجهم عليه بعد ثلاثة شهور من خلافته 127هـ:

لما خلع أهل حمص ودمشق مروان سار حتى أتى حمص فظهر عليهم فقتل رؤساء من رؤسائهم وأمر بهدم ناحية من مدينتهم ونادى في الناس بالأمان ثم وجه الوليد بن معاوية بن مروان إلى ثابت بن نعيم وهو بطبريةفحاصر أهلها، وانهزم ثابت وقتل من أصحابه مقتلة عظيمة، وهرب ثابت فأتى فلسطين مستخفيا وأتبعه مروان عمرو بن الوضاح وأبا الورد فعلم بمكانه فأخذ فبعث به إلى مروان بدمشق فقطع يديه ورجليه[1] هذا التعذيب والتمثيل محرم في الإسلام ولا يقبل عليه إلا من هوصاحب عسف وجبروت وانتقام مثل مروان .

ثانيا : محاربة سليمان بن هشام بن عبد الملك بن مروان وإلحاق الهزيمة به لخروجه عليه بعد بيعته127هـ :

قال الطبري : ...فأقبل نحو من عشرة آلاف ممن كان مروان قطع عليه البعث ... لغزو العراق مع قوادهم حتى جاءوا الرُّصافة فدعوا سليمان إلى خلع مروان ومحاربته ... فاستزلّه الشيطان فأجابهم ...فأرسل إليهم ماذا صنعتم؟ خلعتم طاعتي ونقضتم بيعتي ... فردوا على رسله، إنا مع سليمان على من خالفه ...وانهزمت مقدمة مروان وبلغه الخبر وهو في مسيره ... ولم ينزل حتى انتهى إلى سليمان وقد تعبأ له وتهيأ لقتاله فلم يناظره حتى واقعه فانهزم سليمان ومن معه وأتبعتهم خيوله تقتلهم وتأسرهم وانتهوا إلى عسكرهم فاستباحوه [2] .

ثالثا: محاربة عبد الله بن على بن عباس في موقعة الزاب والهزيمة أمامه 132هـ :

قال السيوطي : ..لم يتهن بالخلافة لكثرة من خرج عليه من كل جانب إلى سنة اثنتين وثلاثين، فخرج عليه بنو العباس وعليهم عبد الله بن علي عم السفاح، فسار لحربهم فالتقى الجمعان، قرب الموصل فانكسر مروان فرجع إلى الشام فتبعه عبد الله ففر مروان إلى مصر فتبعه صالح أخو عبدالله فالتقيا بقرية بوصير فقتل مروان بها في ذي الحجة من السنة[3].

(1) خليفة، تاريخ خليفة، ص374..،بتصرف، انظر كذلك، الطبري، تاريخ الرسل والملوك ج7، ص312، 313، 314 .

(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج7، ص324 ،325..

(3) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص413.الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج1، ص134، دار الكتب العلمية، بيروت .ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص52،طبعة أولى، القاهرة، 1999م.

تلك الحروب التي خاضها مروان بن محمد في مدة خلافته القصيرة –على سبيل المثال لا الحصر– ماكانت لتتم لولا ماكان عنده من عسف وجبروت وقسوة وصبر ودهاء في الحروب، فقد أطلق عليه الحمار لإمعانه في الحرب والقتال لمافيه من صفات تدعو إلى ذلك وربما كان محقا في بعضها، لكنها طغى وتجبر في كثير منها.

وفاته : مات مقتولا وقطع رأسه ومثّل به، في بوصير، من قبل صالح بن علي ، قال خليفة : قتل ببوصير في آخر ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائة ...وكانت ولايته إلى أن قتل خمس سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام[1] .

الخاتمة

من خلال تلك الرحلة مع صفات بعض خلفاء بني أمية الخُلقية وأثرها في السياسة الداخلية نخلص إلى ما يلي :

أولا :

1– كان من بين خلفاء بني أمية من هو دميم سائل الأنف مثل الوليد بن عبدالملك، ومنهم من كان أبيض أو أسمر نحيفا مثل عمر بن عبدالعزيز، ومنهم من كان أشهل شديد الشُهلة مثل مروان بن محمد بن مروان الملقب بالحمار، ومنهم من كان أحول مثل هشام بن عبدالملك ومنهم من كان مربوعا مثل: مروان بن محمد، ومنهم من كان مدور الوجه مثل : يزيد بن عبدالملك، ومنهم من كان مقرون الحاجبين مثل: عبد الملك بن مروان وسليمان بن عبدالملك ومنهم من كان أحمر الوجه أوقص–قصير العنق– قصيرا مثل مروان بن الحكم.

ثانيا:

1– كان من الخلفاء من يتمتع بالحلم والأناة والورع وحسن الخلق مثل : سليمان بن عبد الملك، وعمر بن عبدالعزيز، وهشام بن عبد الملك .

2– هناك من عرف بالمكر والدهاء والذكاء والشجاعة للانقضاض على الأعداء والمخالفين مثل : مروان بن الحكم، وعبد الملك بن مروان، وهناك من عرف بالتجبر والعناد والظلم مثل الوليد بن عبد الملك .

3–هناك من عرف باللهو والشغف بالجواري والقصف والصيد مثل : يزيد بن عبد الملك ،ومنهم من كان شديد الوطأة بطلا شجاعا ذا رأي ومكيدة وعسف وقسوة وجبروت مثل : مروان بن محمد بن مروان الحمار.

المصادر والمراجع

1–القرآن الكريم .

2–ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3،، تحقيق أبي الفداء، عبدالله القاضي، طبعة أولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م،

3–البخاري، التاريخ الأوسط، دراسة وتحقيق محمد بن إبراهيم اللحيدان، دار الصميعي، الرياض، طبعة أولى 1998م.

(1) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة، ص404.

4-ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة،قدم له وعلق عليه محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت،
5-ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج6، دراسة وتحقيق، محمد عبدالقادر عطا، ومصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة أولى، 1992م
6-ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج6، دار الكتب العلمية، بيروت .
7-ابن حجر، فتح الباري، بشرح صحيح البخاري، ج5،، محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة التوفيقية، حديث رقم 2704.
8-الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج10، دار الكتب العلمية، بيروت .
9-ابن خياط، تحقيق د. أكرم ضياء العمري، تاريخ خليفة بن خياط، دار طيبة، الرياض، طبعة ثانية، 1985م.
10-أبو حنيفة الدينوري، تحقيق عبدالمنعم عامر، الأخبار الطوال ،1959م القاهرة.
11-الدياربكري، تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، ج2، مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع، دون تاريخ.
12-الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج3، حقق هذا الجزء محمد نعيم العرقسوس، ومأمون صاغرجي، طبعة ثانية، 1982، بيروت،
13-الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج1، حققه وضبطه أبوهاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت .
14-أبو زرعة الدمشقي، تاريخ أبي زرعة، وضع حواشيه، خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة أولى، 1996م.
15-السيوطي، تاريخ الخلفا، دار المنهاج، بيروت، 2013م
16-الصفدي، الوافي بالوفيات، تحقيق واعتناء، أحمد الأرناؤود، تركي مصطفى، ج28، طبعة أولى، دار إحياء التراث العربي
17-ابن طاهر المقدسي، البدء والتاريخ ،ج6،.مكتبة الثقافة الدينية
18-الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج6، وما بعدها، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ،طبعة ثانية، دار المعارف بمصر .
19-ابن عبدربه، العقد الفريد، تحقيق د.عبدالمجيد الترحيني، ج5، دار الكتب العلمية، بيروت .دون سنة .
20-ابن عساكر، تاريخ دمشق الكبير، تحقيق وتعليق وتخريج، أبي عبدالله علي عاشور الجنوبي، ج14، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 2001م.
21-ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق وتقديم د. قاسم السامرائي، طبعة أولى، دار الآفاق العربية، القاهرة، 1999م

22-أبو الفدا، تقديم وتحقيق وتعليق د.محمد زينهم محمد عزب ،، التبر المسبوك في تواريخ الملوك، مكتبة الثقافة الدينية، طبعة أولى، القاهرة، 1995م.

23-ابن فهد، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق فهيم محمد شلتوت، ج2، طبعة 3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2005م.

24-القرماني، أخبار الدول وآثار الأول، ج2، دراسة وتحقيق، د.أحمد حطيط، د. فهمي سعد، عالم الكتب، بيروت، طبعة أولى، 1992م.

25-الكتبي، فوات الوفيات، ج2، تحقيق، د إحسان عباس، دار صادر، بيروت

26-ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، تحقيق د عبدالله بن عبدالمحسن التركي، دار هجر، الجيزة، الطبعة أولى، 1998م

27-ياقوت الحموي، معجم البلدان، مجلد 2، 3، 5، دار صادر، بيروت .، 1977م